GILBERT DELAHAYE - MARCEL MARLIER

تولين

في درس الاستكشاف



RABIE

casterman

GILBERT DELAHAYE
MARCEL MARLIER

تولين

في درس الاستكشاف

جيلبير دولاهاي
مرسيل مرليه

نقلها إلى العربية
سهيل مقل



casterman

RABIE

السَّاعَةُ قد جاوَزَتِ السَّادِسَةَ ، والشَّمسُ لم تَبزُغْ بَعْدُ ، لَعَلَّها تَتَكاسَلُ في الشِّتاءِ . في هذا الصَّباحِ ، تفيضُ في أعماقِ تولينَ مَشاعِرُ البَهْجَةِ ، لأنَّها سَتُشارِكُ في رِحلَةٍ استِكشافِيَّةٍ نَظَّمَتْها إدارَةُ المدرَسَةِ .

صَعِدَتْ تولينُ إلى الحافِلَةِ ، واستَقَرَّتْ في مَقعَدِها ، وراحَتْ تُزيلُ الغِشاوَةَ عَنِ الزُّجاجِ ، ثُمَّ تساءَلَتْ :



- تُرى لماذا لم يحضُرْ سالِمٌ بَعْدُ ؟ تَنَهَّدَتْ لانا وأجابَتْها :
- لرُبَّما لم يسمَعْ صَوتَ المُنَبِّهِ ! فهو يتأخَّرُ كعادَتِهِ ...
- إنَّها فُرْصَةٌ لن تتكرَّرَ ، فكيفَ يُفوِّتُها على نفسِهِ ؟

وما إن أدارَ السَّائِقُ المُحَرِّكَ تأهُّباً للانطِلاقِ ، حتَّى ارتَفَعَ صَوتٌ يُنادي : اِنتَظِروني ! اِنتَظِروني !

هو ذا سالمٌ قدْ وَصَلَ في اللَّحَظاتِ الأخيرَةِ ، فَتهالَكَ في مَقعَدِهِ وهو يَلْهَثُ .

في الحافِلَةِ ، كانَ التَّلامِذَةُ جَميعُهُم يضحَكونَ
ويَتَحادَثونَ فَرِحين ما خَلا سَالماً ، فسألَتْهُ سارَةُ :

– ما بِكَ ؟ فأنتَ لَسْتَ على ما يُرامُ !

أجابَها : أنا أُصابُ بالدُّوارِ في السَّيَّارَةِ .

فما كانَ من تولينَ إلاَّ أن غَمَرَتْهُ بحَنانٍ ،
وقالَتْ لهُ : لا تَقلَقْ ، فها نحنُ قد وَصَلْنا .





لَدى وصولِ التَّلاميذِ إلى الحَديقَةِ ، رَحَّبَتْ بِهِمُ المُرشِدَةُ بابتِسامَةٍ عَذْبَةٍ ، وقالَتْ لَهُم :
اسمي رانيا ، سوفَ نُمضي مَعاً ساعاتٍ مُدهِشَةً ، تَخَيَّلوا أنفُسَكُم مُسْتكشِفينَ ، وَلْنَنْطَلِقْ لاستِكْشافِ شَتَّى أنواعِ الطُّيورِ في العالَمِ بأسرِهِ ، إنَّما علينا أن نَتَكَلَّمَ بصَوْتٍ مُنخَفِضٍ لِكَيلا نُخيفَها .

في غُضونِ ذلكَ ، تَحَسَّنَتْ حالُ سالمٍ كثيراً ، وزالَ الشُّحوبُ عن وَجهِهِ .



كَمْ تَمَنَّى الأولادُ لو يَطولُ تَوَقُّفُهُم في المَزرَعَةِ المُصَغَّرَةِ لِمُلاعَبَةِ التَّيسِ ، ومُداعَبَةِ لِحيَتِهِ الطَّويلَةِ ، إنَّما لابُدَّ مِنَ الانتِقالِ إلى قِسمٍ آخَرَ .







وأخذَتِ المُرشِدَةُ تَشرَحُ للتَّلاميذِ : هي ذي البَبَّغاواتُ الَّتي تُسَمَّى المُتَلازِمَةَ ، لأنَّها
تُحِبُّ الالتِصاقَ ببَعضِها أوقاتَ النَّومِ والرَّاحَةِ .

هي تَنتَمي إلى الفَصيلَةِ البَبَّغاوِيَّةِ ، وتَتَميَّزُ بِمِنقارٍ غَليظٍ ومَعْقُوفٍ ، أشبَه بِمِلْقَطٍ
يُساعِدُها على تَقشيرِ طَعامِها .



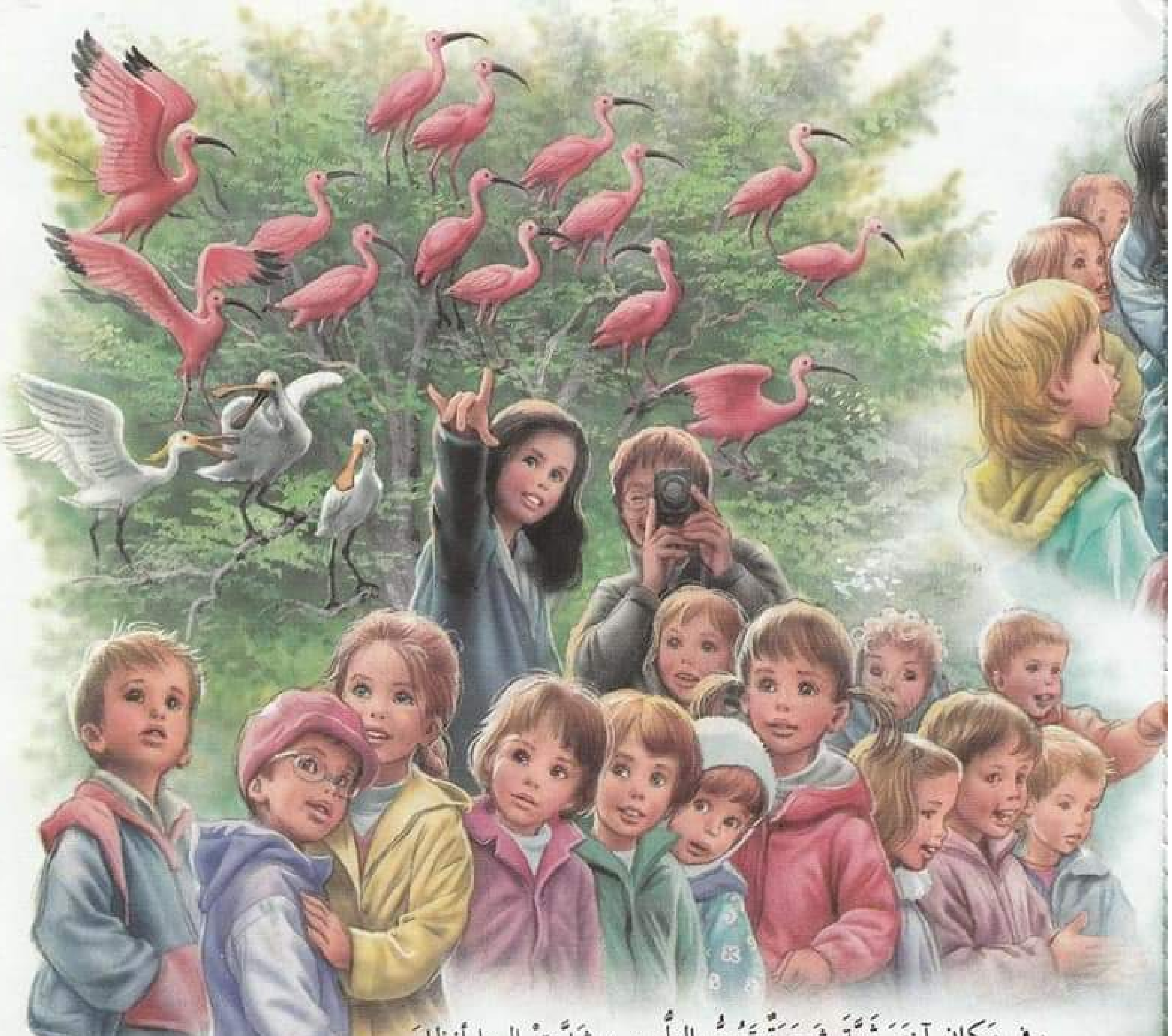


أشارَتِ المُرشِدَةُ إلى بَبَّغاءٍ أزرَقَ ، وقالَتْ : هذا البَبَّغاءُ الضَّخمُ يُدْعى (الآرَةَ) ، مَوطِنُهُ البرازيلُ ، مِنْقارُهُ بمَثابَةِ رِجْلٍ ثالِثَةٍ تُعينُهُ على تَسَلُّقِ الأغصانِ . كانتْ تولينُ تُصغي بانتِباهٍ إلى الشَّرحِ ، وتُدَوِّنُ في كُرَّاسِها كُلَّ المَعلوماتِ ، مُستَعينَةً باللَّوحاتِ التَّوضيحِيَّةِ .



ودَخَلَ الأولادُ بَعدئِذٍ قَفَصاً هائِلاً يفوقُ الأشجارَ ارتفاعاً ، حيثُ كانَتْ في استقبالِ تولينَ وسالِمٍ طُيورٌ تَتَّسِمُ بالعَظَمَةِ والمَهابَةِ : إنَّها طُيورُ الكُرْكِيِّ المُتَوَّجَةُ . وبمُنتَهى الرِّقَّةِ والأدَبِ أخذَتِ الكَراكي تَنحَني للزُّوارِ الصِّغارِ ، وهي تَهُزُّ بقَنازِعِها الذَّهَبِيَّةِ المُلَطَّخَةِ بالسَّوادِ .

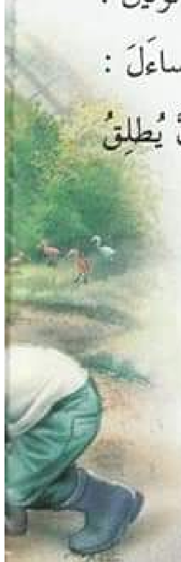




وفي مَكانٍ آخرَ ثَمَّةَ شَجَرَةٌ تَعُجُّ بالطُّيورِ ، شَدَّتْ إليها أنظارَ الجَميعِ ، وأدهَشَتْهُم ، فجاءَ التَّعليقُ من تولينَ : كأنَّها شَجَرَةُ العيدِ !

وبدأَتِ المُرشِدَةُ تُوضِّحُ للتَّلاميذِ : هذهِ الطُّيورُ الحُمْرُ اسمُها أبو مِنْجَلٍ ، وهي تعيشُ في أمريكا الجَنوبيَّةِ ، وتَنتَمي إلى فَصيلَةِ طِوالِ السَّاقِ كاللَّقلقِ ومالِكِ الحَزينِ . ثُمَّ أضافَتْ : انظُروا إلى تِلكَ الطُّيورِ البيضِ ، هي تُعرَفُ باسمِ (أبو مِلْعَقَةٍ) لأنَّها تَتَميَّزُ بمَناقيرَ تُشبِهُ المِلْعَقَةَ .





فجأةً ، دَوَّى صَوْتُ الرَّعدِ ، وجادتِ السَّماءُ بالمَطَرِ ، فصاحَتْ تولينُ :

- لِنَبْحَثْ عن مَلجأ ! فما كانَ من سالمٍ إلاّ أن فَتَحَ مِظلّتَهُ ، ثُمَّ تساءَلَ :

- ما اسمُ هذا الطّائِرِ العَجيبِ ؟ هو يبدو غاضِباً ، لأنَّهُ ما انفكَّ يُطلِقُ صُراخاً قويّاً ، ويطُقُّ بِمنقارِهِ ، وكأنَّ لَديهِ ما يقولُهُ !

قالَتْ تولينُ لصَديقِها ، وصَبرُها آخِذٌ في النَّفاذِ :

- ألا تُقنِعُهُ بالكَفِّ عَنِ الحَرَكَةِ حتّى أتمكَّنَ من رَسْمِهِ .





وعلى بُعدِ خطَواتٍ ، راحَ زوجٌ من
الطُّيورِ المَعروفَةِ باسمِ (أبو سُنبُكٍ) يُتابعُ
مَشهَدَ الرَّسمِ بسُخرِيَّةٍ .



قالَ سالمٌ لتولينَ : أوَدُّ لو تلتَقطينَ لي صُوَراً مَعَ طُيورٍ غَريبَةٍ حتَّى أضُمَّها إلى مَجموعَتي .

فصاحَتْ بِهِ : رُوَيدَكَ ، فأنا أحاوِلُ أخذَ صُورَةٍ مُضَخَّمَةٍ لهذا الطَّائِرِ ... لكنْ ما اسمُهُ ؟ لِنَقْرَأْ اللَّوحَةَ التَّوضيحِيَّةَ :

(" السَّافكو " طائرٌ مَهدُهُ أمريكا الجَنوبيَّةُ ، يأْلَفُ ضِفافَ الأنهارِ ، والبُحيراتِ ، والمُستَنقَعاتِ ، يَتَقَوَّتُ بالأَسماكِ والحَشَراتِ) .

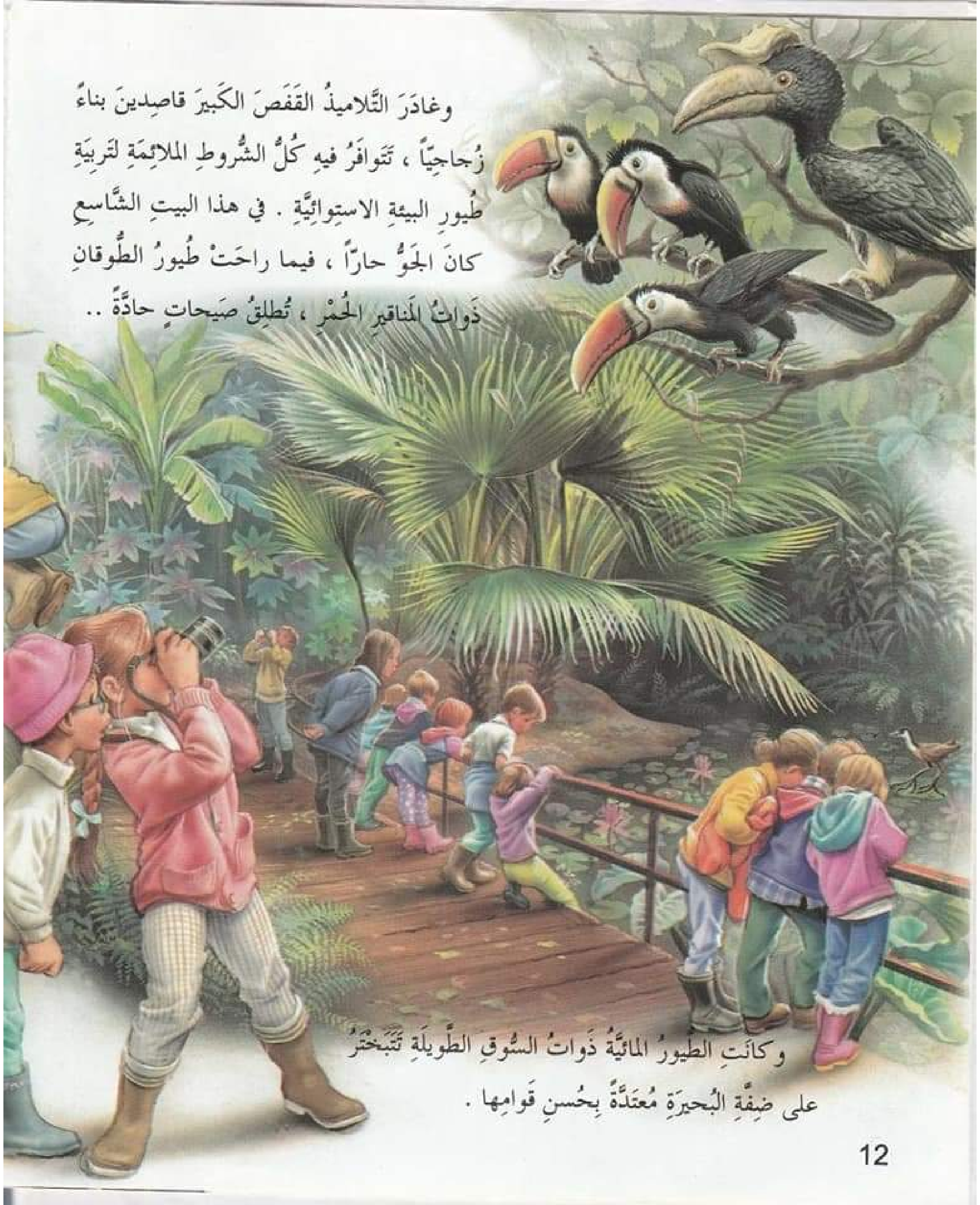
وارتَفَعَ صَوتُ تولينَ : حَذارِ يا سالمُ ، فهو لا يبدو مُتَساهِلاً ...

– هو يَعتَبِرُنا دُخَلاءَ ومُتَطَفِّلينَ !





وغادَرَ التَّلاميذُ القَفَصَ الكَبيرَ قاصِدينَ بناءً زُجاجيّاً ، تَتوافَرُ فيهِ كُلُّ الشُّروطِ الملائِمَةِ لتَربِيَةِ طُيورِ البيئةِ الاستِوائِيَّةِ . في هذا البيتِ الشَّاسِعِ كانَ الجَوُّ حارّاً ، فيما راحَتْ طُيورُ الطُّوقانِ ذَواتُ المَناقيرِ الحُمْرِ ، تُطلِقُ صَيحاتٍ حادَّةً ..



وكانَتِ الطُّيورُ المائِيَّةُ ذَواتُ السُّوقِ الطَّويلَةِ تَتَبَختَرُ على ضِفَّةِ البُحيرَةِ مُعتَدَّةً بِحُسنِ قَوامِها .

وأمَّا هُنا ، فالمَشهَدُ مُختَلِفٌ تماماً : إنَّها البيئَةُ الصَّحراوِيَّةُ ، حَيثُ يَسودُ الجَفافُ ، وتندُرُ النَّباتاتُ .

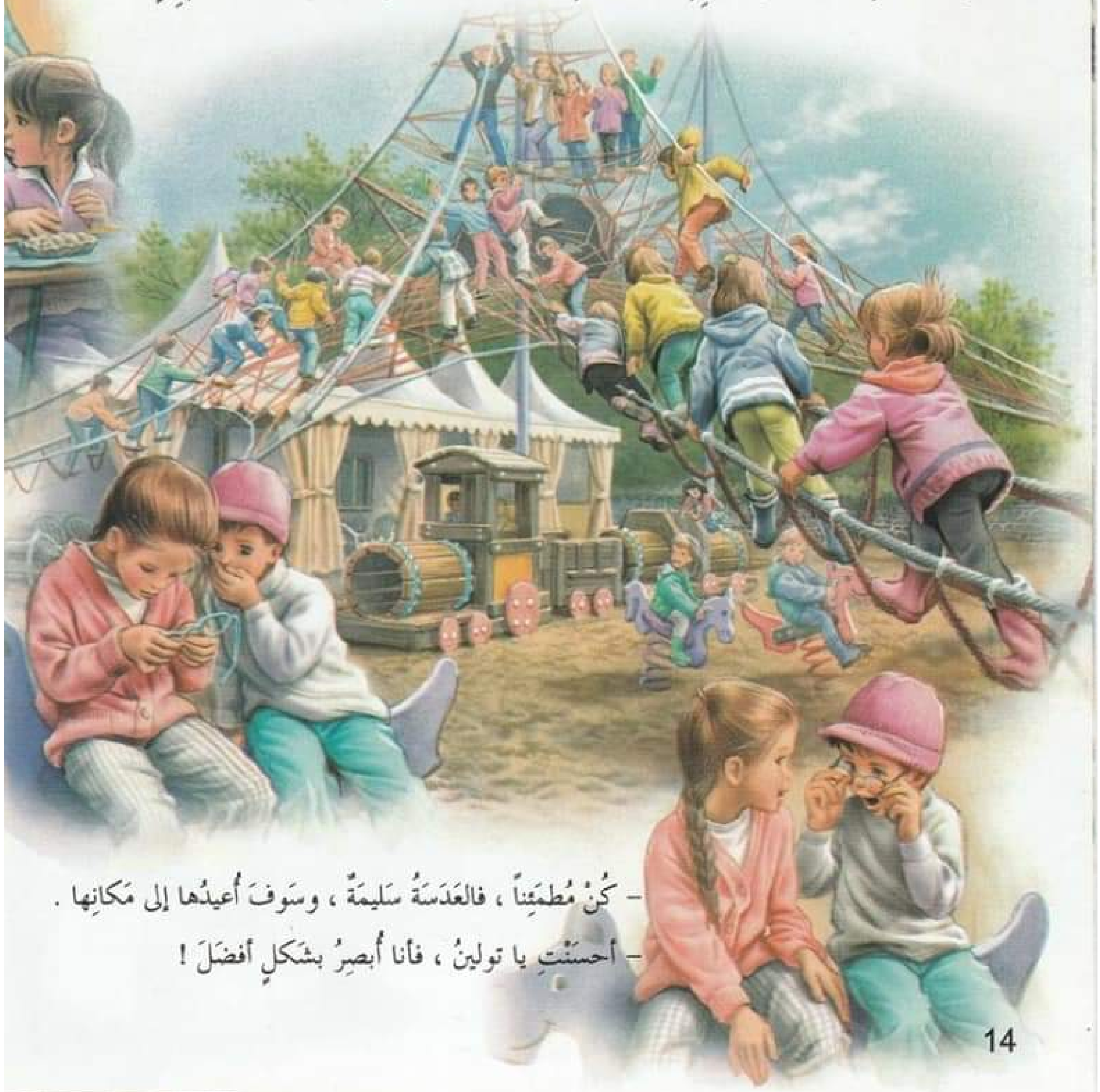


وبِسبَبِ انْعِدامِ المِياهِ في الصَّحراءِ ، فإنَّ الطُّيورَ تَستخدِمُ مَناقيرَها لامتِصاصِ الماءِ مِنَ الصَّبَّارِ ، والنَّباتاتِ اللَّحمِيَّةِ الَّتي تَدَّخِرُ الماءَ كالإسْفَنْجِ .

في هذِهِ البيئَةِ الجافَّةِ يعيشُ الطَّائرُ المُلَقَّبُ (بالجَوَّابِ) ، والمُسَمَّى (الرَّاكِضَ) في الولاياتِ المُتَّحِدَةِ .



هاهُمُ التّلاميذُ يَتَسابقونَ إلى ساحَةِ الألعابِ ، حَيثُ يَنْتَصِبُ هَرَمٌ عِمْلاقٌ يُشبِهُ نَسيجَ عَنكبُوتٍ هائِلَةٍ ، تُرى من سَيَكونُ أوَّلُ الواصِلينَ إلى القِمَّةِ ؟ وما كادَ سالِمٌ أن يَتَسَلَّقَ الحِبالَ ، حَتَّى سَقَطَتِ النَّظّارَةُ عن وَجهِهِ ، وكالعادَةِ جاءَتْهُ المُساعَدَةُ من تولينَ ، فقالَتْ لَهُ بِرِقَّةٍ :



- كُنْ مُطمَئِناً ، فالعَدَسَةُ سَليمَةٌ ، وسَوفَ أُعيدُها إلى مَكانِها .

- أحسَنْتِ يا تولينُ ، فأنا أُبصِرُ بشَكلٍ أفضَلَ !



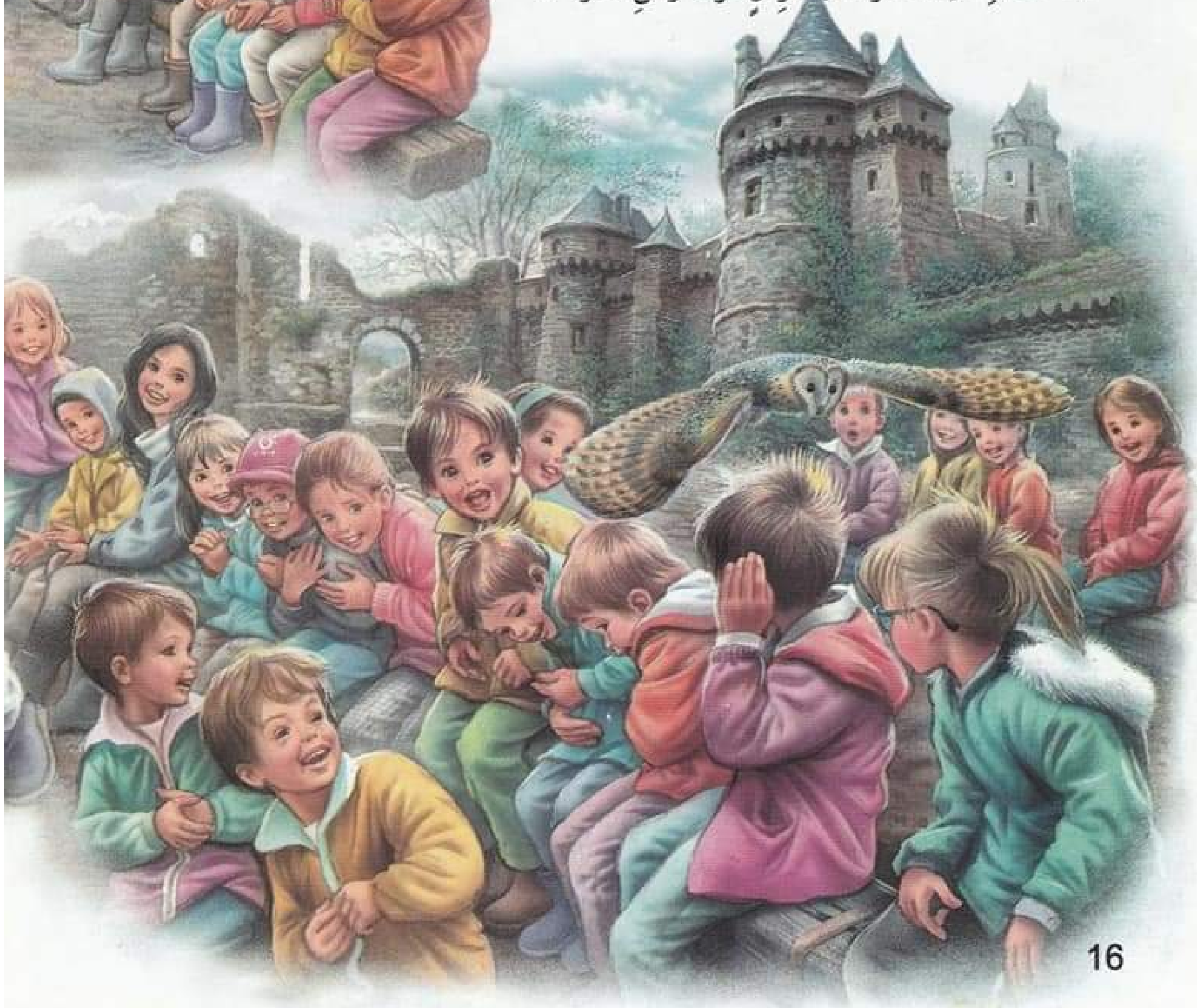
وبَعدَ أن تناوَلَ الأولادُ طَعامَ الغَداءِ ، قَصَدوا مَشْغَلَ الأعمالِ اليَدَوِيَّةِ ، حَيثُ قامَتِ المُرشِدَةُ رانيا بتَوزيعِ الصَّلْصالِ والماءِ عليهم . وسأَلَتْ تولينُ زَميلَتَها مايا : ماذا سَتَصنَعينَ ؟

– سوفَ أصنَعُ عُشّاً فيهِ بُيوضٌ .

في غُضونِ ذلِكَ ، كانَتْ تولينُ تُحاوِلُ صُنْعَ أرْغَلٍ ، وهو طَيرٌ من فَصيلَةِ اللَّقالِقِ ، غَيرَ أنَّهُ يَبدو عابِساً ومُنتَفِخاً مِنَ الغَضَبِ . تُرى هل أكثَرَتْ تولينُ مِنَ الماءِ عِندَما جَبَلَتِ الطِّينَ ؟ وأمَّا البومَةُ الَّتي شَكَّلَها سالِمٌ ، فكانَتْ في غايَةِ الإتقانِ ، حتَّى لَيُخيَّلَ إليكُمْ أنَّها سَتَطيرُ ! .

ومن جَديدٍ تَبَدَّلَ المَشهَدُ ، واختَلَفَتِ البيئَةُ ، هاهُمُ الأولادُ الآنَ بِجوارِ مَعْلَمٍ أثَرِيٍّ يعودُ تاريخُهُ إلى القُرونِ الوُسطى . هذا الحِصنُ الضَّارِبُ في القِدَمِ ، اتَّخَذَتْهُ كَواسِرُ الطَّيرِ مِنْ عِقبانٍ ونُسُورٍ مَأْوىً لها . ومن قِمَّةِ أحَدِ الأبراجِ ، انْطَلَقَتْ بُومَةٌ ، أهي بومَةُ سالمٍ ؟ حَلَّقَتِ البُومَةُ بِهُدوءٍ فوقَ رُؤوسِ التَّلاميذِ ، ثُمَّ صَفَّقَتْ بِجَناحَيها قَبلَ أن تَحُطَّ فوقَ يَدِ المُرَوِّضِ ، فما كانَ مِنهُ إلاَّ أن وَضَعَها برِفقٍ فوقَ رأسِ سارَةَ ..







بالفِعلِ كانَ المَنظَرُ مُؤَثِّراً ، مُدهِشاً وآمِناً في آنٍ معاً ، لأنَّ الجَوارِحَ قدِ اعْتادَتْ تَوافُدَ الزُّوَّارِ ، ناهيكَ عن خُضُوعِها لفَتَراتٍ طَويلَةٍ مِنَ التَّدريبِ والتَّرويضِ .



بَعدَ هذا العَرضِ الأخَّاذِ ، ذَهَبَ الصَّديقانِ تولينُ وسالِمٌ نحوَ البُحيرَةِ ، حَيثُ تَعيشُ طُيورُ النُّحامِ والبَجَعِ بحُرِّيَّةٍ مُطلَقَةٍ . قالَتْ تولينُ :

– لا رَيبَ أنَّهُ وَقتُ الطَّعامِ ...

كانَتِ البَجَعاتُ تُغَطِّسُ مَناقيرَها الطَّويلَةَ في الماءِ ، وتستَخدِمُها كمَصائِدَ تصيدُ بِها الأسماكَ . انتَهزَتْ تولينُ هذه الفُرصَةَ النَّادِرَةَ ، فالتقطَتْ عِدَّةَ صُوَرٍ .





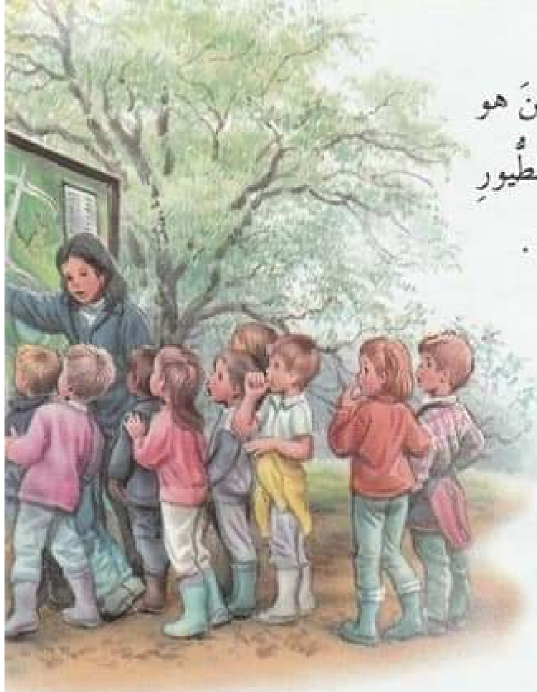
ها هي ذي الشَّمسُ تُعانِقُ الأُفُقَ قَبلَ الذَّهابِ إلى سَريرِها ، مُؤذِنَةً بانْقِضاءِ نَهارٍ زاخِرٍ بالفائدَةِ . وأخَذَ بعضُ التَّلاميذِ يَتَوَجَّهونَ إلى مَخرَجِ الحَديقَةِ ، حَيثُ تنتظِرُهُم حافِلَةُ المَدرَسَةِ .

وساوَرَتْ تولينَ الهَواجِسُ ، لأنَّها لم تَلتَقي سالماً مُذْ كانا على شَطِّ البُحَيرَةِ . فقَرَّرَتْ أن تعودَ أدراجَها خِلْسَةً للتَّفتيشِ عنهُ .

في هذهِ الأثناءِ كانَتِ المُعَلِّمَةُ تَجمَعُ التَّلاميذَ وتَعُدُّهُم ، ولَمَّا لاحَظَتْ نَقصاً في العَدَدِ ، ارتأتْ أن تَتَفَقَّدَهُم اسميًّا ، وتساءَلَتْ : أينَ هو سالِمٌ ؟ ومتى التَقَيتُموهُ آخِرَ مَرَّةٍ ؟ ثمَّ سألَتْ آخِرَ الواصِلينَ : وأينَ هي تولينُ ؟

- لقد ذَهَبَتْ للتَّفتيشِ عَنهُ !





أشارَتِ المُرشِدَةُ إلى خَريطَةِ الحَديقَةِ ، وتساءلَتْ : أينَ هو الآنَ ؟ أيكونُ ناحيَةَ القَفَصِ الكَبيرِ ؟ أتُراهُ قَصَدَ جَناحَ الطُّيورِ الاستِوائيَّةِ ؟ لا رَيبَ أنَّهُ تَوَقَّفَ مُطَوَّلاً عِنْدَ شَطِّ البُحَيرَةِ .



راحَتِ المُرشدَةُ تُمعِنُ النَّظَرَ مُسْتَطلِعَةً الأفْقَ ، غيرَ أنَّها لم تُبصِرْ إلاَّ البَجَعاتِ واللَّقالِقَ .

في هذهِ اللَّحظاتِ رأى الأولادُ البُستانِيَّ مُقبِلاً نَحوَهُم وهو يُلَوِّحُ بيَدِهِ ، فما كانَ مِنهُم إلاَّ أن تجمَّعوا حولَ العَرَبَةِ عَلَّهُم يُعاينونَ فيها طائراً عَجيباً ، صاحَتْ تولينُ ، وَقَدِ الْتَحَقَتْ تَوّاً بزُمَلائِها : إنَّهُ سالِمٌ !



لِحُسنِ الحَظِّ ، لم يُصَبْ سالِمٌ بأَيَّةِ أَذِيَّةٍ خَلا ابتلالِ حِذائِهِ ، وقد راحَ في طريقِ العَودَةِ يَروي لِزُملائِهِ تفاصيلَ مُغامَرَتِهِ : لقد زَلَّتْ قَدَمي وأنا أحاوِلُ التِقاطَ رِيشَةِ حَمامٍ جَميلَةٍ ، كانَتْ تَطْفو فَوقَ الماءِ قَريباً مِنَ الضِّفَّةِ ... بالمُصادَفَةِ كانَ البُستانِيُّ حاضِراً في تِلكَ اللَّحْظَةِ !







وحتَّى تَبقى ذِكرى هذا النَّهارِ ماثِلَةً أمامَ أعيُنِ التَّلاميذِ ، أخَذَتِ المُعَلِّمَةُ صُورَةً لسالِمٍ وهو يَستَلْقي في عَرَبَةِ البُستانِيِّ ، ووَعَدَتْهُ أن تَتَصَدَّرَ أحَدَ الجُدرانِ في الصَّفِّ .

www.rabie-pub.com
Published by Rabie Publishing House Syria , Aleppo
P.O.Box : 7381 Tel : +963 21 2640151 Fax : 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com
In cooperation with CASTERMAN , Belgium .
ISBN 2-203-10150-4 ISSN 0750-0580



1 تولين في المَزرعةِ
2 تولين في رِحلةٍ
3 تولين في البَحرِ
4 تولين في السّيركِ
5 تولين ، مَرحباً بالمدرسةِ
6 تولين في السُّوقِ الشّعبيّةِ
7 تولين على خَشبةِ المَسرحِ
8 تولين في الجَبلِ
9 تولين في المُخيّمِ
10 تولين على مَتنِ الباخرةِ
11 تولين وفُصولُ السّنةِ
12 تولين في المَنزلِ
13 تولين في حديقةِ الحيَواناتِ
14 تولين تتسوّقُ
15 تولين في الطّائرةِ
16 تولين تركبُ الخَيلَ
17 تولين في المُتنزّهِ

18 تولين أمٌّ صغيرةٌ
19 تولين في عيدِ ميلادِها
20 تولين تعتني بالحَديقةِ
21 تولين تركبُ الدّراجةَ
22 تولين راقصةُ الأوبرا
23 تولين في عيدِ الأزهارِ
24 تولين تُعِدُّ الطّعامَ
25 تولين تتعلّمُ السّباحةَ
26 تولين مَريضةٌ
27 تولين تزورُ خالتَها
28 تولين تسافرُ في القِطارِ
29 تولين تتعلّمُ الملاحةَ
30 تولين وصديقُها الدُّوريُّ
31 تولين والحِمارُ كَدُّوش
32 تولين في عيدِ الأُمِّ
33 تولين في المِنطادِ
34 تولين في المَدرسةِ

35 تولين تكتشِفُ المُوسيقا
36 تولين تُضيعُ كلبَها
37 تولين في الغابةِ
38 تولين والهديّةُ
39 تولين والجارةُ العَجيبةُ
40 تولين والأربعاءُ المَشهودُ
41 تولين في ليلةِ العيدِ
42 تولين والبيتُ الجديدُ
43 تولين في حفل تنكُّريٍّ
44 تولين والقِطُّ المتشرّدُ
45 تولين وراءَ السّمورِ
46 تولين والحادثُ
47 تولين مُربّيةٌ
48 تولين في درسِ الاستِكشافِ
49 تولين في درسِ الرّسمِ
50 تولين في بلادِ الحِكاياتِ
51 تولين في درسِ الطّهوِ

① CM1-50
ISBN 2-203-10150-4
6 214001 440503